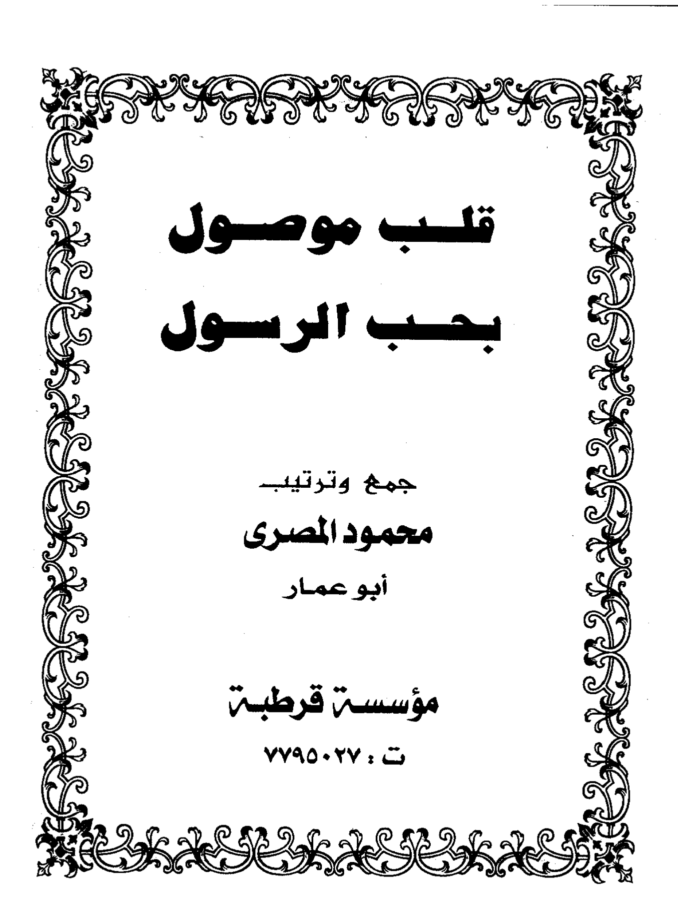


قلب موصول
بحب الرسول

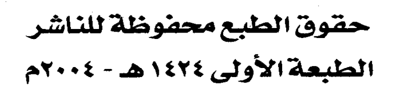
جمع وترتيب

محمود المصرى

أبو عمار

مؤسسة قرطبة

ت : ٧٧٩٥٠٢٧



الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع	٢٠٠٤/٢٩٠٩

الناشر

مؤسسة قرطبة

٦٤ شارع الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧

٥ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين ت : ٠١٠١٢٣٧٨٧٤

الشركة الفنية للطباعة ت: ٠١٢٢٣٨١١٥٣٦

الإخراج الفنى: إبراهيم حسن

ت: ٥٤٦٧٨٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠ ــ ٧١). **أما بعد:**

فوالله لا أدرى كيف أبدأ ومن أين أبدأ.. فإن الحديث عن محبة النبى ﷺ يحرك القلوب ويستجيش المشاعر ويجعل الإنسان فى غاية الشوق واللهفة لرؤية النبى ﷺ.

إن حديثى فى تلك الوريقات سيكون عن خاتم الرسل وذروة الصلاح الذى وصل السماء بالأرض والدنيا بالآخرة. . إنه البسيط فى عظمته السهل فى هيبته لا تراه إلا وتحبه، ولا تخالطه إلا وترتاح له، حُجته القرآن، وقبلته الكعبة، ودينه الحنيفية، ومنهجه الوسط، ودعوته التوحيد، أتى ليضع الآصار والأغلال، وبُعث ليُحطم الأوثان والأصنام، وأُرسل للعالمين رحمة، صاح فى أُذن الدنيا، فتهاوت على صوته أعمدة البغى، وانهارت بكلماته أبنية الظلم، عاش الفقر فتحلَّى بالصبر، وتذرَّع بالتحمل، فبيَّن بسيرته ضآلة الدنيا وحقارتها، وعاش الغنى فشكر المنعم، وواسى الخلق، وعلَّم البرية فصول الجود، وملاحم البذل.

محمد ﷺ اسم مُحبب إلى قلبى، دعوت الله أن لا أكون مدعيًا فى حبه، أُحبه وأُحب من يحبه ويذكره ويتابعه أُحب ألفاظه، وحديثه، وأُحب مسجده ومُصلاه ومحرابه، أُحب سواكه وثيابه وعصاه، أُحب سيفه ومنبره وجفنته، أُحب أهله وقرابته، وأصحابه، أُحب رضاه وغضبه، ونومه ويقظته، وحلِّه وسفره، لا يستحق حبى من البشر إلا هو، ولا يملؤ قلبى من الناس سواه، ولا يبرد مشاعرى من الخليقة غيره، ليس لأحد من البرية علىَّ منة أعظم من منته، ولا فى عنقى لأحدٍ يدٌ أعظم من يده البيضاء، به هدانى ربى، ومنه علمنى

مولاى، وبه كان اقتدائى، وإليه انتهى إعجابى، أصلى فأجتهد أن توافق صلاتى صلاته، وهيهات، لأنه يقول: «صلوا كما رأيتمونى أصلى» أحج فأحرص أن أتابع صفة حجة؛ لأنه يقول: «خذوا عنى مناسككم».

أعيش وسيرته أمام عينى، وفي خلدى، لأن الله يقول: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ (الأحزاب: ٢١)[١].

فتعالوا بنا لنرى كيف تفاعل الكون كله مع محبة الحبيب ﷺ لنزداد له حبًا وشوقًا عسى الله أن يرزقنا صُحبته فى الجنة إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

(١) حدائق ذات بهجة/ الشيخ عائض القرنى (ص: ١٤، ١٥) بتصرف.

حقيقة المحبة لرسول الله ﷺ

إن محبة الحبيب المصطفى ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان، وإذا استقرت شجرة المحبة الصادقة فى القلب آتت أُكلها كل حين وأثمرت كل أنواع الاتباع والاقتفاء للمحبوب ﷺ.

وحقيقة المحبة «أن يميل قلب المسلم إلى رسول الله ﷺ ميلاً يتجلى فيه إيثاره ﷺ على كل محبوب من نفس ووالد وولد والناس أجمعين. وذلك لما خصه الله تعالى من كريم الخصال وعظيم الشمائل، وما أجراه الله على يديه من صنوف الخير والبركات لأمته وما امتن الله على العباد ببعثته ورسالته إلى غير ذلك من الأسباب الموجبة لمحبته عقلاً وشرعًا»[1].

ولابد أن نعلم يقينًا أننا إذا أردنا أن نقدم برهانًا على محبتنا للنبى ﷺ فلن يكون ذلك بالاحتفال بمولده ولا بنسج القصائد والمدائح، وإنما يكون ذلك بإحياء سنته وتطبيق شريعته والدعوة إلى الله (جل وعلا).

إن المحبة الحقيقية الصادقة تحتاج أن نتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع أخلاق النبى ﷺ وسلوكياته ومعاملاته، وأن نتشبه به ﷺ فى كل صغيرة وكبيرة لنحقق قول الله (عز وجل) ﴿لَقَدْ

---

(١) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع/ عبد الرؤوف محمد عثمان (ص: ٤١، ٤٢).

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب: ٢١).

النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم

قال تعالى ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾(الأحزاب: ٦).

ويوضح الإمام ابن القيم أن هذه الأولوية تتضمن أمرين:

«أن يكون - أى الرسول ﷺ - أحب إلى العبد من نفسه؛ لأن الأولوية أصلها الحب ونفس العبد أحب إليه من غيره ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها وأحب إليه منها فبذلك يحصل له اسم الإيمان، ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه والتسليم لأمره وإيثاره على ما سواه...

ومنها أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه لرسول الله ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده فليس له فى نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول ﷺ الذى هو أولى به منها» (الرسالة التبوكية (ص: ٢١، ٢٢).

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾

(آل عمران: ٣١) . . . فهما حُبان: حب العبد لربه (جل وعلا) وحب الرب لعبده. . فالدليل على حب العبد لربه (جل وعلا) أن يكون مُتبعًا لرسول الله ﷺ . . وأما محبة الله لعبده فهى ثمرة اتباع العبد لرسول الله ﷺ .

* **قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ:**

تالله ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون لقد أقيمت للعرض فى سوق من يزيد فلم يُرض لها بثمن دون بذل النفوس فتأخر البطالون وقام المحبون ينظرون: أيهم يصلح أن يكون ثمنًا؟ فدارت السلعة بينهم ووقعت فى يد **﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** (المائدة: ٥٤).

لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى فقيل: لا تُقبل هذه الدعوى إلا ببينة **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾** (آل عمران: ٣١).

فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب فى أفعاله وأقواله وأخلاقه فطولبوا بعدالة البينة بتزكية **﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾** (المائدة: ٥٤).

فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فهلمُّوا إلى بيعة **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾** (التوبة ١١١).

فلما عرفوا عظمة المشترى، وفضل الثمن، وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع: عرفوا قدر السلعة، وأن لها شأنا، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضى، من غير ثبوت خيار وقالوا «والله لا نقيلك ولا نستقيلك».

فلما تم العقد وسلموا المبيع، قيل لهم: مُذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت، وأضعافها معًا: **﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾** (آل عمران: ١٦٩، ١٧٠).

إذا غُرست شجرة المحبة فى القلب، وسُقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت فى قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى (مدارج السالكين (٣/ ٨، ٩).

محبتك لله ورسوله ﷺ تجلب لك حلاوة الإيمان

إن محبة العبد لله (جل وعلا) ولرسوله ﷺ تجلب له حلاوة فى قلبه لا يشعر بها إلا من أحب الله ورسوله ﷺ .

والارتباط بين محبة العبد لله (جل وعلا) ومحبته لرسوله ﷺ وثيق لا ينفك أبدًا.. ولذلك فإن كل من ادعى أنه يحب الله ولم يحب رسول الله ﷺ فليعلم أن اعتقاده باطل.. وكذلك كل من ادعى أنه يحب رسول الله ﷺ ولم

يحبه الله « جل وعلا» فليعلم أيضًا أن اعتقاده باطل.

* قال رسول الله ﷺ : «ثلاثٌ مَن كُن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يُقذف فى النار (متفق عليه).

*** قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:**

«أخبر النبى ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان لأن وجود الحلاوة للشىء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئا واشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذى هو المحبوب أو المشتهى (فتح المجيد: ص: ٣٣٩).

محبة الرسول ﷺ تابعة لمحبة الرب الغفور (جل وعلا)

وإن مما لا شك فيه أن محبة الرسول ﷺ تابعة لمحبة الرب الرحيم الغفور (جل وعلا).

«فمحبة الرسول ﷺ واجبة تابعة لمحبة الله لازمة لها، فإنها محبة لله ولأجله، تزيده بزيادة محبة الله فى قلب المؤمن وتنقص بنقصها، وكل من كان محبًا لله فإنما يحب فى الله ولأجله كما يحب الإيمان والعمل الصالح، وهذه المحبة ليس فيها شىء من شوائب الشرك كالاعتماد عليه ورجائه فى حصول

مرغوب منه أو دفع مرهوب منه، وما كان فيها ذلك فمحبته مع الله لما فيها من التعلق على غيره والرغبة إليه من دون الله، فبهذا يحصل التمييز بين المحبة فى الله ولأجله التى هى من كمال التوحيد وبين المحبة مع الله التى هى محبة الأنداد من دون الله لما يتعلق فى قلوب المشركين من الإلهية التى لا تجوز إلا لله وحده» (فتح المجيد: ص ٣٣٧).

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله):

وليس للخلق محبة أعظم ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم، وليس فى الوجود ما يستحق أن يُحَب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى وكل ما يُحَب سواه فمحبته تَبعٌ لحبه، فإن الرسول (عليه الصلاة والسلام) إنما يُحَب لأجل الله ويطاع لأجل الله ويُتَّبع لأجل الله كما قال تعالى ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ (آل عمران: ٣١) (مجموع الفتاوى: ٦٤٩/١٠).

قدر النبى ﷺ عند ربه (عز وجل)

إن شأن رسول الله ﷺ عند الله لعظيم.. وإن قدْرَه لكريم.. فلقد اختاره الله تعالى واصطفاه على جميع البشر وفضَّله على جميع الأنبياء والمرسلين.

وشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وأعلى له قدره، وزكَّاه فى كل شىء.

زكَّاه في عقله فقال سبحانه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم: ٢).

وزكاه في صدقه فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النجم: ٣).

وزكاه في بصره فقال سبحانه: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (النجم: ١٧).

وزكاه في فؤاده فقال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ (النجم: ١١).

وزكاه في صدره فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١).

وزكاه في ذكره فقال سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤).

وزكاه في طُهره فقال سبحانه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (الشرح: ٢).

وزكاه في حلمه فقال سبحانه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

وزكاه في علمه فقال سبحانه: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (النجم: ٥).

وزكاه في خُلقه فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

ثم أخبر عن منزلته فى الملأ الأعلى عند رب العالمين وعند الملائكة المقربين فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ (الأحزاب: ٥٦).

ثم أمر أهل الأرض من المؤمنين بالصلاة والسلام عليه ليجتمع له الثناء من أهل السماء وأهل الأرض فقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وتالله إننى أقول: إنه لا يعرف قدر النبى ﷺ إلا الرب العظيم الكريم العلى (جل وعلا).

* بل أقسم الله (عز وجل) بالضحى والليل إذا سجى أنه ما أهمل محمدًا ﷺ وما قلاه بعدما اختاره واصطفاه واجتباه، وأن ما أعده له فى الآخرة خير له من كل ما أعطاه فى دنياه فقال جل فى عُلاه: ﴿**وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ**﴾ (الضحى: ١ - ٥).

* بل لقد أخذ الله الميثاق على جميع النبيين والمرسلين إن بُعث فيهم الحبيب محمد ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه.

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ**

أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى أقسم بحياته ﷺ فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢). وإن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم الله عز وجل بها، لما فيها من البركة العامة والخاصة.

* ومن فضلة وشرفه ﷺ أن الله (عز وجل) أمر الأمة بتوقيره واحترامه، ونهى الله (عز وجل) أمة النبى أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته إعظامًا له ﷺ، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢).

* ومن شرفه وفضله ﷺ إيثاره ﷺ أمته على نفسه بدعوته؛ إذ جعل الله عز وجل لكل نبى دعوة مستجابة، فكلٌ منهم تعجَّل دعوته فى الدنيا، واختبأ هو ﷺ دعوته شفاعةً لأمته.

ففى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبى دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجَّل كل نبى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعةً لأمتى يوم القيامة، فهى نائلةٌ إن

شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا».

* ومن الأدلة على شرفه وفضله ﷺ أنه ساد الكل ﷺ كما فى حديث عبد الله بن سلام رضى الله عنه من قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، بيدى لواء الحمد تحته آدم فمن دونه» (متفق عليه).

ولما كان ذكر مناقب النفس إنما يُذكر افتخارًا فى الغالب، أراد ﷺ أن يقطع وهم من توهم من الجهلة أنه يذكر ذلك افتخارًا فقال: «ولا فخر».

* ومنها أنه ﷺ أول شافع وأول مُشفَّع، كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع» (متفق عليه).

* ومن الأدلة على شرفه ﷺ أن الله تعالى أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولم يُنقل أنه أخبر أحدًا من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم؛ لأن كل واحد منهم إذا طُلبت منهم الشفاعة فى الموقف ذكر خطيئته التى أصابها وقال: (نفسى نفسى) كما ورد فى حديث الشفاعة الطويل وفيه أن الناس يذهبون إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى يطلبون الشفاعة، فكل منهم يذكر أن الله غضب اليوم غضبًا لم

يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ثم يقول: (نفسى نفسى) ويحيلهم على غيره حتى يأتوا عيسى فيقول لهم (لست هناكم، ولكن ائتوا محمدًا عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) فإذا أتوا النبى ﷺ قال: أنا لها أنا لها»

(رواه ابن حبان بسند صحيح وأصله فى الصحيح).

* ومن فضله وشرفه ﷺ أن معجزة كل نبى تصرمت وانقضت... ومعجزته ﷺ - وهى القرآن المبين - باقية إلى يوم الدين.

ففى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: «ما من الأنبياء نبى إلا أُعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيًا أوحاه الله إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة».

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله (عز وجل) يكتب لكل نبى من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمته وأحوالها وأقوالها، وأمته شطر أهل الجنة.

* ومن فضله ﷺ عصمة أمته فلا تجتمع على ضلالة، وحفظ طائفة من أمته لا تزال ظاهرة على الحق. كما فى الصحيحين «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتى أمر الله وهم كذلك».

* ومن شرفه وفضله ﷺ أن الله تعالى أرسل كل نبى

إلى قومه خاصة وأرسل نبينا ﷺ إلى الجن والإنس.

* ومن شرفه ﷺ الكوثر الذى أعطاه الله عز وجل، وهو نهر فى الجنة وحوض فى الموقف.

روى أحمد ومسلم وغيرهما عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا فى المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسمًا قلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: لقد أُنزلت علَىَّ آنفًا سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿إنَّا أعطيناك الكوثرْ فصلِّ لربِّكَ وانحرْ إن شانئكَ هو الأبتر﴾** (الكوثر).

ثم قال: «أتدرون ما الكوثر»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة، آنيته عدد النجوم فى السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول يا رب إنه من أمتى، فيقول: إنك لا تدرى ما أحدث بعدك».

* ومن شرفه وفضله ﷺ أنه ﷺ صاحب الوسيلة، وهى أعلى درجة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وهى له ﷺ . . . ففى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىّ فإنه من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لىَ الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا

هو، فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة».

* ومن فضله وشرفه ﷺ أن الله (عز وجل) وهبه سبعين ألفًا من أمته، يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب وجوههم مثل القمر ليلة البدر، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وليس هذا لأحد غيره ﷺ.

الكون يتفاعل مع محبة النبى ﷺ

ولا عجب أن نجد الكون كله يتفاعل مع محبة النبى ﷺ فلقد جعل الله (عز وجل) للكون حسًا وإدراكًا فلقد قال للسماوات والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: ١١).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (النور: ٤١)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (الحج: ١٨).

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ

حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٤).

جبل أحد يحب النبى ﷺ وأصحابه

وها هو الحبيب ﷺ يمر يومًا هو وأصحابه أمام جبل أُحد وإذا بالحبيب ﷺ يقول لأصحابه كما عند البخارى «أُحد جبل يحبنا ونحبه».

- بل وتتحول هذه الكلمات إلى واقع عندما صعد النبى ﷺ جبل أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ وإذا بالجبل يتفاعل مع محبة النبى ﷺ وأصحابه فيهتز فرحًا بالنبى ﷺ وأصحابه وإذا بالحبيب المصطفى ﷺ يقول له - كما فى الصحيحين: «اثبت أحد فإنما عليك نبى وصدِّيق وشهيدان».

حنين الجذع

فها هو الجذع يحن إلى النبى ﷺ .

فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أرسل رسول الله ﷺ إلى امرأة من الأنصار فقال: مُرِى غلامك النجار أن يعمل لى أعوادًا أجلس عليهن إذا كلمت الناس، فأمرته فعملها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها فأمر بها فوضعت.

قال جابر: فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبى ﷺ فوضع يده عليه (أخرجه البخارى).

قال جابر: كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر

عندها .

وفى رواية للبخارى من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار ـ أو رجل ـ : يا رسول الله ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: «إن شئتم» فجعلوا له منبرًا فلما كان يوم الجمعة دُفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى ثم نزل النبى ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبى الذى يُسكَّن، قال: «كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها».

* وفى سنن الدارمى بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب فى المسجد فيخطب الناس فجاءه رومى فقال: ألا أصنع لك شيئًا تقعد عليه وكأنك قائم فصنع له منبرًا له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد نبى الله ﷺ على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتجّ المسجد حزنًا على رسول الله ﷺ فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتَزمه وهو يخور فلما التزمه رسول الله ﷺ سكن ثم قال: «أما والذى نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزنًا على رسول الله ﷺ» فأمر به رسول الله ﷺ فدُفن.

* وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ووقع فى حديث

الحسن عن أنس: كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث يقول: يا معشر المسلمين: الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إلى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

كانوا يسمعون صوت تسبيح الطعام بين يديه ﷺ

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فقلَّ الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده فى الإناء، ثم قال: «حىّ على الطهور المبارك، والبركة من الله»، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل (متفق عليه).

بل وفى رواية: أنهم كانوا يسمعون صوت تسبيح الحصى بين يدى النبى ﷺ.

الحجر يسلم على النبى ﷺ

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى لأعرفُ حجرًا بمكة كان يُسلِّمُ علىَّ قبل أن أُبعث إنى لأعرفهُ الآن» (أخرجه مسلم).

قال الإمام النووى: قوله ﷺ: (إنى لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علىَّ قبل أن أُبعث، إنى لأعرفه الآن) فيه معجزة له ﷺ، وفى هذا إثبات التمييز فى بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى فى الحجارة ﴿وإن منها لما يهبط من خشية

الله﴾ وقوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ وفى هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة، ويجعل الله تعالى فيه تمييزًا بحسبه... ومنه الحجر الذى فرّ بثوب موسى ﷺ، وكلام الذراع المسمومة، ومشى إحدى الشجرتين إلى الأخرى حين دعاهما النبى ﷺ وأشباه ذلك

(مسلم بشرح النووى: ١٥/٥٣).

الجمل يسجد للنبى ﷺ

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأن الأنصار جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسنى عليه، وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا» فقاموا، فدخل الحائط والجمل فى ناحيته، فمشى النبى ﷺ نحوه فقالت الأنصار: يا رسول الله إنه قد صار مثل الكَلْب الكَلِب (أى المفترس) وإنا نخاف عليك صولته، فقال: «ليس علىّ منه بأس»، فلمّا نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذلّ ما كانت قط، حتى أدخله فى العمل، فقال له أصحابه، يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك فقال: «لا يصلح لبشر أن يسجد

لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظم حقه عليها، والذى نفسى بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تتفجر بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدّت حقه» (رواه أحمد بسندٍ جيد).

فتأملوا معى كيف عرف الجمل رسول الله ﷺ حتى سجد بين يديه.. وكيف لا يعرفه وقد قال النبى ﷺ «إنه ليس شىء بين السماء والأرض إلا يعلم أنى رسول الله إلا عاصى الجن والإنس» (صحيح الجامع: ٢٤٠٩).

الجن يستمعون إلى النبى ﷺ .. والشجرة تخبره بذلك

ففى الحديث الذى رواه البخارى، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن الذى أخبر رسول الله ﷺ باستماع الجن إليه هى شجرة فقد ساق البخارى بإسناده إلى معن بن عبدالرحمن قال: سمعت أبى قال: سألت مسروقًا: من آذن النبى ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال: حدثنى أبوك - يعنى عبد الله ابن مسعود - أنه آذنت بهم شجرة.

شجرة تشهد للنبى ﷺ بالرسالة

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فأقبل أعرابى فلما دنا قال له رسول الله: «أين تريد؟» قال: إلى أهلى قال: «هل لك إلى خير؟» قال: ما هو ؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده

ورسوله».

قال هل من شاهد على ما تقول: قال «هذه الشجرة»، فدعاها رسول الله ﷺ وهى على شاطئ الوادى فأقبلت تخدُّ الأرض خدًا فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال، ثم أنها رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابى إلى قومه، فقال: إن يتبعونى أتيتك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك (رواه البيهقى بسندٍ جيد).

الوحش يوقر النبى ﷺ ويحترمه

ففى الحديث الذى رواه أحمد بإسناد حسن من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان لآل رسول الله ﷺ وحش، فكان إذا خرج رسول الله ﷺ اشتد ولعب فى البيت، فإذا دخل رسول الله ﷺ سكن فلم يتحرك كراهية أن يؤذيه.

ملائكة الرحمن تدافع عن سيد الأنام ﷺ

بل لقد تفاعلت ملائكة الرحمن (جل وعلا) مع محبتها لسيد الأنام ﷺ حتى كان جبريل وميكائيل «عليهما السلام» يدافعان عن النبى ﷺ فى غزوة أُحد.

ففى الصحيحين عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ فى يوم أُحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما

ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد[١].

الصديق ﵁ ومحبته للنبى ﷺ

وإن أعظم محبة كانت بين اثنين هى تلكم المحبة الغالية التى كانت بين النبى ﷺ وصابحه أبى بكر ﵁.. تلكم المحبة التى يعجز القلم عن وصفها فلقد بذل أبو بكر ماله ونفسه وكل ما يملك لخدمة دين الله (جل وعلا) ومحبة لرسول الله ﷺ.

لقد أحب أبو بكر ﵁ النبى ﷺ حبًّا ملك عليه لُبَّه وفؤاده وجوارحه، حتى إنه كان يتمنى أن يفدى النبى ﷺ بنفسه وولده وماله والناس أجمعين.

* تقول عائشة ﵂: لما اجتمع أصحاب النبى ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ فى الظهور فقال: «يا أبا بكر إنا قليل».

فلم يزل أبو بكر يُلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرَّق المسلمون فى نواحى المسجد، كل رجل فى عشيرته، وقام أبو بكر فى الناس خطيبًا، ورسول الله ﷺ جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله، وإلى رسول الله ﷺ وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين، فضربوا فى نواحى المسجد ضربًا

---

(١) فى رواية مسلم: يعنى جبريل وميكائيل عليهما السلام.

شديدًا، ووُطِئ أبو بكر، وضُـرب ضربًا شديدًا ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين، ويحرفها لوجهه، ونزَّ (أى وثب) على بطن أبى بكر، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم «قوم أبى بكر» يتعادون، فأجلت قريشًا عن أبى بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر فى ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون فى موته، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبى بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ؟ فمسُّوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظرى أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه.

فلما خلت به ألحَّت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ ؟

فقالت: والله ما لى علم بصاحبك، فقال: اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله.

فقالت: ما أعرف أبا بكر، ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ذهبت.. قالت نعم: فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا، فدنت أم جميل

وأعلنت الصياح، وقالت: والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالمٌ صالحٌ. قال أين هو؟ قالت فى دار ابن الأرقم.

قال: فإن لله علىَّ ألا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى آتى رسول الله ﷺ.. فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرِّجل، وسكن الناس خرجتا به يتكيء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله، وأكب عليه المسلمون ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فقال أبو بكر: بأبى وأمى يا رسول الله، ليس بى بأس إلا ما نال الفاسق من وجهى، وهذه أمى برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع لها عسى أن يستنقذها بك من النار، قال فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت (البداية والنهاية: ٣/ ٢٩).

موقف يعجز القلم عن وصفه

وها هى صفحة مشرقة من حياة الصدِّيق رضي الله عنه الذى بذل نفسه وماله فداءً لله وفداءً لرسول الله ﷺ.

فعن على بن أبى طالب، قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فذا يجبأه[1]، وهذا يُتلتله[2]، وهم

(١) يجبأه: أى فجأة وبغتة. (٢) يتلتله: يحركه ويزعزعه من مكانه.

يقولون: أنت الذى جعلت الآلهة إلهًا واحدًا؟ قال: فوالله ما دنا منَّا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجبأ هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم! ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (غافر: ٢٨)، ثم رفع (علىٌّ) بُردةً كانت عليه، فبكى حتى اخضلَّت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خيرٌ أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال: ألا تجيبونى؟ فوالله لساعة من أبى بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه» (تاريخ الخلفاء: ٣٧).

* وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: بينما رسول الله بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلفَّ ثوبه فى عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبى ﷺ، ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (غافر: ٢٨) (أخرجه البخارى).

محبة تفوق الخيال

عن محمد بن سيرين قال: «ذُكر رجال على عهد عمر ﷺ فكأنهم فضلوا عمر على أبى بكر ﷺ قال: فبلغ ذلك عمر ﷺ فقال: والله لليلة من أبى بكر خير من آل عمر، وليوم من أبى بكر، خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ

لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: (يا أبا بكر مالك تمشى ساعة بين يدى وساعة خلفى؟) فقال يا رسول الله أذكر الطلب[١]، فأمشى خلفك ثم أذكر الرصد[٢]، فأمشى بين يديك فقال: (يا أبا بكر لو كان شىء أحببت أن يكون بك دونى) قال نعم والذى بعثك بالحق ما كانت لتكون من مُلمة[٣]، إلا أن تكون بى دونك.. فلما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر مكانك يا رسول الله حتى استبرئ[٤] لك الغار، فدخل واستبرأ حتى إذا كان فى أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة، فقال: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الحجرة فدخل واستبرأ ثم قال: أنزل يا رسول الله فنزل فقال عمر والذى نفسى بيده لتلك الليله خير من آل عمر».

محبة الفاروق للنبى ﷺ وموقفه عند موته

لقد أحب الفاروق (عمر) النبى ﷺ حبًا يعجز القلم عن وصفه حتى إنه كان يتمنى أن يفدى النبى ﷺ بنفسه وماله وولده وبكل ما يملك ولما مات النبى ﷺ أحس الفاروق أن الدنيا كلها أظلمت من حوله فوقف عمر بن الخطاب وقد أخرجه الخبر عن وعيه يقول: إن رجالا من المنافقين يزعمون

---

(١) الطلب: المطاردين. (٢) الرصد: الكمين.
(٣) ملمة: المصيبة. (٤) استبرئ: استكشف.

أن رسول الله توفى، وإن رسول الله ما مات ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد أن قيل قد مات.

والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات.

حزن الصحابة على موت النبى ﷺ

ولما علمت فاطمة (عليها السلام) بموته ﷺ قالت: يا أبتاه أجب ربًا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب (أخرجه البخارى).

قال الحافظ ابن رجب (رحمه الله): لما توفى ﷺ اضطرب المسلمون فمنهم من دهش فخولط ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال إنما بعث إليه (لطائف المعارف: ١١٤).

موقف أبى بكر رضي الله عنه

وأقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبَّله وبكى، ثم قال بأبى أنت وأمى والله لا

يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التى كُتبت عليك فقد مُتَّها.

ثم خرج أبو بكر... وعمر يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر أما بعد: من كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حى لا يموت.. قال الله: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها.

قال ابن المسيب: قال عمر والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقرت حتى ما تُقلنى رجلاى، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبى ﷺ قد مات (أخرجه البخارى).

حبيب حبيبى.. حبيبى

ومن باب قول القائل: حبيب حبيبى.. حبيبى

فلقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفضل كل من كان يحبه النبى ﷺ حتى إنه فضَّل أسامة بن زيد على ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لأن أسامة كان أحب إلى النبى ﷺ من ابن عمر.

فعن زيد بن اسلم أن عمر بن الخطاب فضل المهاجرين الأولين وأعطى أبناءهم دون ذلك، وفضل أسامة بن زيد على عبد الله بن عمر فقال عبد الله بن عمر: فقال لى رجل: فضل عليك أمير المؤمنين من ليس بأقدم منك سنًا ولا أفضل منك هجرة، ولا شهد من المشاهد ما لم تشهد، قال عبد الله: وكلمته فقلت: يا أمير المؤمنين فضلت علىّ من ليس هو بأقدم منى سنًا ولا أفضل منى هجرة، ولا شهد من المشاهد ما لم أشهد قال: ومن هو؟ قلت أسامة بن زيد قال: صدقت لعمر الله فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عمر وأسامة بن زيد كان أحب إلى رسول الله ﷺ من عبد الله بن عمر فلذلك فعلت (رواه ابن سعد وهو صحيح لغيره).

على رضي الله عنه يفدى النبى ﷺ ليلة الهجرة

وفى ليلة الهجرة اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلى بن أبى طالب: «نَم على فراشى، وتسجَّ ببُردى هذا الحضرمى الأخضر، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم». وكان رسول الله ﷺ ينام فى بُرده ذلك إذ ينام.

ثم خرج رسول الله ﷺ وهو يتلو هذه الآيات ﴿يسٓ ①

وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ١ ـ ٩).

ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا ؟ قالا: محمدًا قال خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم؟ قال فوضع كل رجل منهم يدًا على رأسه فإذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليًا على الفراش مُتسبجًا ببُرد رسول الله ﷺ فيقولون والله إن هذا لمحمد نائما على بُرده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام (على) عن الفراش فقالوا: والله، لقد صدقنا الذى كان حدثنا (رواه أبو نعيم بإسناد حسن).

حمى المغوار حيدرة[1] الدعوة فى شخص نبيها ﷺ ونام فى فراشه فى أصعب ليلة مرت بها الدعوة، . . . رجل ينام فى الفراش وهو يعلم أن على الباب رجالاً لا يريدون إلا رأس النائم على الفراش فلما قلق به الفراش ليلة من أجل نبيه، أسعد الله فراشه بفاطمة بنت نبيه ﷺ التى تجلببت فى

(١) هو اسم على بن أبى طالب قال:

أنا الذى سمتنى أمى حيدره   كليث غابات كريه المنظره

وحيدرة هو: الأسد.

جلباب كمالها وأعطاه الرسول ﷺ الأهل والمرحب وأصدقه درعه الحُطمية فأُهديت إليه ومعها خميلة ومرفقة من أدم ـ جلد ـ حشوها ليف، وقربة ومنخل وقدح ورحى وجرابان.

موقف آخر لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه

عن علي رضي الله عنه أنه قال: لما انجلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحد نظرت إلى القتلى فلم أر رسول الله ﷺ فيهم، فقلت: والله ما كان ليفر وما أراه فى القتلى، ولكن أرى أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه ﷺ فما فىَّ خير من أن أقاتل حتى أُقتل فكسرت جفن سيفى ثم حملته على القوم فأفرجوا لى فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم

(رواه أبو يعلى بإسناد حسن).

يُضرب بالسيف عشرين مرة ليفدى النبى ﷺ :

وها هو كعب بن مالك رضي الله عنه يُضرب بالسيف أكثر من عشرين مرة ليفدى النبى ﷺ .

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم أُحد وصرنا إلى الشِّعب كنت أول من عرفته فقلت: هذا رسول الله ﷺ .

فأشار إلىَّ بيده أن اسكت ثم ألبسنى لأمته (درعه)، ولبس لأمتى فلقد ضُربت حتى جُرحت عشرين جراحة أو قال بضعة وعشرين جُرحًا كل من يضربنى يحسبنى رسول الله ﷺ .

(رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله ثقات).

فتأمل معى إلى فطنة وذكاء النبى ﷺ فى هذا الموقف الجليل. . وتأمل أيضًا تلك الصورة المشرقة من محبة هذا الصحابى الجليل للنبى ﷺ فهو يستعذب كل هذا الضرب من أجل أن يفدى النبى ﷺ .

زيد بن حارثة ﷺ يختار النبى ﷺ على أبيه وعمه

إنه زيد الحب وأمه سُعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر، زارت قومها وزيد معها، فأغارت عليهم خيل لبنى القين فى الجاهلية فمروا على أبيات بنى معن فاحتملوا زيدًا وهو يومئذ غلام يفعة، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له، فحج ناس من كعب فرأوا زيدًا فعرفهم وعرفوه.

فانطلقوا فأعلموا أباه فخرج حارثة وكعب بن شراحيل بفدائه، فقدما مكة فسألا عن النبى ﷺ فقيل: هو فى المسجد فدخلا عليه فقالا: يا ابن هاشم، يا بن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العانى، وتطعمون الأسير، جئناك فى ابننا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا فى فدائه، فإنا سنرفع لك فى الفداء قال: ما هو؟ قالوا: زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ فهلا غير ذلك ؟ قالوا: ما هو؟ قال: ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى اختار على من اختارنى أحدًا. قالوا: قد زدتنا على

النَصَف وأحسنت.

فدعاه فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم، هذا أبى وهذا عمى قال: فأنا من قد علمت، ورأيت محبتى لك فاخترنى أو اخترهما فقال زيد: ما أنا بالذى أختار عليك أحدًا أنت منى بمنزلة الأب والعم فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك ؟ قال نعم إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذى أختار عليه أحدًا أبدًا فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: يا من حضر اشهدوا أن زيدًا ابنى يرثنى وأرثه.. فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا.

فدُعى زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام فزوَّجه رسول الله ﷺ زينب بنت جحش فلما طلقها تزوجها النبى ﷺ فتكلم المنافقون فى ذلك وقالوا: تزوج امرأة ابنه فنزل: ﴿ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم﴾ الآية وقال: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ فدُعى يومئذٍ زيد بن حارثة.

محبة الأنصار للنبى ﷺ وفرحهم بمقدمه

هل يستطيع إنسان فى هذه الدنيا أن يتصور أو يتخيل مدى الفرحة التى يشعر بها من رأى النبى ﷺ ولو مرة واحدة فى منامه؟ فكيف بمن رآه حال اليقظة؟

* عن البراء عن أبى بكر فى حديث الهجرة قال: «فقدمنا

المدينة ليلاً فتنازعوا أيهم ينزل عليهم رسول الله ﷺ فقال: «أنزل على بنى النجار، أخوال عبد المطلب أُكرمهم بذلك» فصعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم فى الطرق ينادون: يا محمد يا رسول الله يا محمد يا رسول الله (متفق عليه).

فلما طلع الرسول ﷺ عليهم جاشت العواطف فى صدورهم وانطلقت ألسنتهم تهتف بالقصائد والأهازج فرحًا لمرآه ﷺ ومقدمه عليهم ولقد بادلهم رسول الله ﷺ نفس المحبة حتى إنه جعل ينظر إلى ولائد بنى النجار من حوله وهم ينشدن ويتغنين بمقدمه قائلاً: أتحببننى والله إن قلبى ليحبكن.

الحبشة يلعبون بالحراب فرحًا بقدوم الرسول ﷺ

حتى أهل الحبشة امتلأت قلوبهم فرحًا بقدوم النبى ﷺ إلى المدينة... عن أنس رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله لعبت الحبشة بحرابهم فرحًا لقدومه (رواه أبو داود بسند صحيح).

أبو أيوب رضي الله عنه.. ومحبته للنبى ﷺ

إن الأنصار وإن لم يكونوا أصحاب ثروات طائلة، إلا أن كل واحد منهم كان يتمنى أن ينزل الرسول ﷺ عليه، فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته: هَلُمَّ إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فكان يقول لهم: «خَلُّو سبيلها

فإنها مأمورة» فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوى اليوم فبركت ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً ثم التفتت ورجعت فبركت فى موضعها الأول فنزل عنها وذلك فى ديار بنى النجار أخواله ﷺ وكان من توفيق الله لها فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ فى النزول عليهم، وبادر أبو أيوب الأنصارى إلى رحله، فأدخله بيته فجعل رسول الله ﷺ يقول «المرء مع رحله» وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته وكانت عنده (البداية والنهاية: ٣/ ٣٢٤).

وفى رواية البخارى قال نبى الله ﷺ: «أى بيوت أهلنا أقرب؟». فقال أبو أيوب: أنا يا رسول الله هذه دارى وهذا بابى قال فانطلق فهيئ لنا مقيلا قال قوما على بركة الله.

هكذا يكون الأدب مع رسول الله ﷺ

ولنترك المجال لأبى أيوب رضي الله عنه يحدثنا عن تلك الفرحة الشديدة التى ملأت عليه جوانحه وجوارحه لنزول النبى ﷺ عليه فى بيته.

عن أبى أيوب قال: لما نزل علىَّ رسول الله ﷺ فى بيتى نزل فى السفل وأنا وأم أيوب فى العلو فقلت له: يا نبى الله، بأبى أنت وأمى إنى لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل

فقال: «يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن تكون فى سُفل البيت» (أخرجه مسلم).

وفى رواية أخرى: أن رسول الله ﷺ لما نزل على أبى أيوب فنزل النبى ﷺ أسفل وأبو أيوب فى العلو فانتبه أبو أيوب ذات ليلة فقال: نمشى فوق رأس رسول الله ﷺ!! فتحول فباتوا فى جانب فلما أصبح ذكر ذلك للنبى ﷺ فقال النبى ﷺ أسفل أرفق بى فقال أبو أيوب: لا أعلو سقيفة أنت تحتها.. فتحول أبو ايوب فى السفل والنبى ﷺ فى العلو (أخرجه مسلم).

وعن أبى رهم أن أبا أيوب حدثه أن رسول الله ﷺ نزل فى بيتنا الأسفل وكنت فى الغرفة فأهريق ماء فى الغرفة فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا نتتبع الماء ونزلت فقلت يا رسول الله لا ينبغى أن نكون فوقك انتقل إلى الغرفة.. فأمر بمتاعه فنقل ومتاعة قليل قلت: يا رسول الله كنت ترسل بالطعام فانظر فإذا رأيت أثر أصابعك وضعت فيه يدى.. يلتمس بركة الحبيب ﷺ (رواه أحمد بسندٍ صحيح).

أردت أن يكون آخر العهد بك

عن محمد بن على بن الحسين أبى جعفر الباقر: «أن النبى ﷺ كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزية الأنصارى فقال: يا رسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق والعدل

فاقدنى» (أى خذ لى الحق من نفسك) فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال «استقد» قال: فاعتنقه فقبَّل بطنه فقال: (ما حملك على هذا يا سواد؟).

قال يا رسول الله: حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيرًا (الإصابة: ٢/ ٩٥، وسنده حسن إلا أنه مرسل).

وتالله لا أجد تعليقًا على هذا الموقف المهيب إلا أن أقول نسأل الله من فضله.

صفحة مشرقة من محبة أبناء الصحابة للنبى ﷺ

وها أنا أهدى من خلال تلك السطور قدوة طيبة مباركة لبراعم الأمة المسلمة ليتعلموا كيف يكون الولاء لدين الله وكيف تكون المحبة لرسول الله ﷺ وكيف تكون الغيرة عليه.

فإلى هؤلاء جميعًا أهدى إليهم هذا المشهد التاريخى الذى تتوارى الكلمات أمامه خجلاً من مهابته وعظمته.

إنه مشهد غلامين من أبناء الصحابة ﷺ سمعا أن أبا جهل يسب رسول الله ﷺ فما استطاع واحد منهما أن يصبر لحظة واحدة على هذا الخبيث الذى يسب الحبيب ﷺ فعزما فى التو واللحظة على أن يذهبا إليه ليقتلاه.

وهنا أترك المجال للصحابى الجليل ـ عبدالرحمن بن عوف ـ ليصف لكم هذا المشهد الجليل.

قال عبدالرحمن بن عوف: إنى لفى الصف يوم بدر إذ التفتُّ فإذا عن يمينى وعن يسارى فَتيان حديثا السن فكأنى لم آمن بمكانهما، إذ قال لى أحدهما سرًا من صاحبه: ياعم، أرنى أبا جهل فقلت: يا ابن أخى فما تصنع به؟ قال أُخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ قال: والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك قال: وغمزنى الآخر فقال لى مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يجول فى الناس فقلت ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألانى عنه قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته قال: هل مسحتما سيفيكما فقالا: لا فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال: كلاكما قتله وقضى رسول الله ﷺ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح.

والرجلان هما: معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء (متفق عليه).

الزبير بن العوام رضي الله عنه.. ودفاعه عن النبى ﷺ

وفى يوم من الأيام سرت إشاعة بين الناس أن الرسول ﷺ قُتل فما كان من الزبير إلا أن أخذ سيفه وخرج على

الناس كالإعصار المدمر يريد أن يتثبت من الخبر فلقيه الحبيب ﷺ فقال: مالك يا زبير قال: أُخبرت أنك أُخذت ـ قُتلت ـ فصلى عليه ودعا له ولسيفه (رواه الحاكم ورجاله ثقات).

وفى رواية فقال النبى ﷺ ما لك؟ قال أُخبرت أنك أخذت قال: فكنت صانعًا ماذا ؟ قال كنت أضرب به من أخذك فدعا له ولسيفه. . . . هكذا كان الواحد من أصحاب النبى ﷺ يتمنى أن يفدى النبى ﷺ بنفسه وبكل ما يملك. . إنها المحبة الصادقة التى سكنت فى قلوب صادقة صدقت فى حبها لله ولرسول الله ﷺ.

السبعة من الأنصار.. ودفاعهم عن النبى ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أُحد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه (أدركوه)، قال من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقى فى الجنة فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل ثم رهقوه أيضا فقال من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقى فى الجنة فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل فلم يزل كذلك حتى قُتل السبعة فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه ما أنصفنا أصحابنا» (أخرجه مسلم).

وكان آخر هؤلاء السبعة هو عمارة بن يزيد بن السكن قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط. . وبعد ما قُتل عمارة بن يزيد لم يبق مع النبى سوى طلحة وسعد رضي الله عنهما.

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه .. ويوم أحد

وها هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يقدم نفسه وحياته فداء للنبى ﷺ

عن جابر قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ فى ناحية فى اثنى عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبى ﷺ من للقوم؟ قال طلحة أنا قال: «كما أنت» فقال رجل: أنا قال: «أنت» فقاتل حتى قُتل ثم التفت فإذا المشركون فقال: من لهم؟ قال طلحة أنا قال: «كما أنت» فقال رجل من الأنصار: أنا قال «أنت» فقاتل حتى قُتل فلم يزل كذلك حتى بقى مع نبى الله «طلحة» فقال: من للقوم؟ قال طلحة: أنا فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قُطعت أصابعه فقال «حس» فقال رسول الله: لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون. ثم رد الله المشركين.

وعند الطبرانى: «لو قلت: بسم الله لطارت بك الملائكة والناس ينظرون إليك»... وعند النسائى والبيهقى فى الدلائل: «حتى تلج بك فى جو السماء»

وعند أحمد فقال له النبى ﷺ: لو قلت بسم الله لرأيت يُبنى لك بها بيت فى الجنة وأنت حى فى الدنيا (رواه أحمد بسندٍ صحيح).

وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها

النبى يوم أُحد (أخرجه البخارى).

وجُرح فى تلك الغزوة تسعًا وثلاثين أو خمسًا وثلاثين وشُلَّت أصبعه أى السبابة والتى تليها، وقال النبى ﷺ فيه يومئذ: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله» (صحيح الجامع: ٥٩٦٢).

وروى أبو داود الطيالسى عن عائشة ؓ قالت: كان أبو بكر إذ ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة.

وعن عائشة وأم إسحاق بنتى طلحة قالتا: جُرح أبونا يوم أُحد أربعًا وعشرين جراحة وقع منها فى رأسه شجة مربعة وقع نساه يعنى العرق وشُلت أصبعه وكان سائر الجراح فى جسده وغلبه الغشى (الإغماء) ورسول الله ﷺ مكسورة رباعيته مشجوج فى وجهه قد علاه الغشى وطلحة محتمله (أى يحمل النبى ﷺ) يرجع به القهقرى كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب (السير: ١/ ٣٢).

حتى قال عنه ﷺ: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع» (صحيح الجامع: ٢٥٤٠).

وعن موسى وعيسى ابنى طلحة عن أبيهما أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابى جاء يسأله عمن قضى نحبه من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه قال: فسأله الأعرابى فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم إنى اطلعت

من باب المسجد - يعنى طلحة - وعلىَّ ثياب خضر فلما رآنى رسول الله ﷺ قال: أين السائل عمن قضى نحبه؟ قال الأعرابى: أنا يا رسول الله قال: «هذا ممن قضى نحبه»

(رواه الترمذى بإسنادٍ حسن).

نفسى لنفسك الفداء.. ووجهى لوجهك الوقاء

هكذا كان يقول أبو طلحة الأنصارى للحبيب النبى ﷺ .

لقد كان أبو طلحة رضي الله عنه ممن شهدوا بدرًا وأبلى فى تلك الغزوة بلاء حسنًا. . . . وفى يوم أُحد كان من الأبطال الذين ثبتوا مع النبى ﷺ ودافع عنه بكل ما يملك.

عن أنس قال: لما كان يوم أحد انهزم ناس عن رسول الله وأبو طلحة بين يديه مجوبا عليه بحجفة وكان راميًا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول ﷺ انثرها لأبى طلحة ثم يُشرف إلى القوم فيقول أبو طلحة: يا نبى الله بأبى أنت لا تشرف لا يصيبك سهم. . . نحرى دون نحرك وكان إذا بقى مع النبى ﷺ جثا بين يديه وقال: نفسى لنفسك الفداء ووجهى لوجهك الوقاء.

سعد بن الربيع رضي الله عنه.. ومحبته للنبى ﷺ

قال زيد بن ثابت بعثنى رسول الله ﷺ يوم أُحد أطلب «سعد بن الربيع» فقال لى: «إن رأيته فأقرئه منى السلام وقل له

يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟ قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته وهو بآخر رمق، وفيه سبعون ضربة: ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم فقلت: يا سعد إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك أخبرنى كيف تجدك؟ فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله مكروه وفيكم عينٌ تطرف.. وفاضت نفسه من وقته» (رواه الحاكم بسندٍ صحيح).

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة:

إن سعد بن الربيع ﷺ وهو فى سكرات الموت لا يفكر فى نفسه وإنما يفكر فى سلامة الحبيب ﷺ من أى مكروه.. فهل نستطيع أن نحب النبى ﷺ مثلما أحبه سعد بن الربيع؟!

وهكذا كانت المرأة المسلمة

بل لقد بلغت محبة النبى ﷺ فى قلوب نساء المسلمين مبلغًا عظيمًا حتى كانت الواحدة منهن تتمنى أن تفدى النبى ﷺ بحياتها.. وبالفعل وقفت امرأة منهن فى يوم أحد ودافعت عن النبى ﷺ.. فإليكم هذا الموقف المهيب.

خرجت الأسرة المؤمنة: أم عمارة وولداها عبدالله وحبيب وزوجها واندفع زوجها وأولادها يجاهدون فى سبيل الله بينما

ذهبت أم عمارة تسقى العطشى وتضمد الجرحى، ولكن ظروف المعركة جعلتها تُقبل على محاربة المشركين وتقف وقفة الأبطال تدافع عن رسول الله ﷺ غير هيابة ولا وجلة، وذلك عندما تفرق الناس من هول ما أصابهم فى ذلك اليوم. . عندها أخذت سيفًا وترسًا ووقفت بجانب رسول الله ﷺ تقيه بنفسها.

وقاتلت أم عمارة، فاعترضت لابن قمئة فى أناس من المسلمين فضربها ابن قمئة على عاتقها ضربة تركت جرحًا أجوف وضربت هى ابن قمئة عدة ضربات بسيفها لكن كان عليه درعان فنجا وبقيت أم عمارة تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحًا (البداية والنهاية: ٤/ ٣٨).

كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله ﷺ

ولما فرغ رسول الله ﷺ من دفن الشهداء - يوم أُحد - والثناء على الله والتضرع إليه، انصرف راجعًا إلى المدينة، وقد ظهرت له نوادر الحب والتفانى من المؤمنات الصادقات، كما ظهرت من المؤمنين فى أثناء المعركة.

عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ بامرأة من بنى دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحد فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا خيرًا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟ قال: فأشير لها إليه، حتى إذا

رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل! تريد صغيرة
(رواه البيهقى بسندٍ حسن).

المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ

بل وتتجلى المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ فى هذا الموقف الجليل.... فلقد ضرب الصحابة الكرام أروع الأمثلة لأسمى مراتب الحب لرسول الله ﷺ.

فها هو ذلكم المشهد المهيب لهذا الصحابى الجليل الذى يعلمنا درسًا فى الحب الصادق الذى ليس له نظير.. ها هو خبيب بن عدى رضي الله عنه يصلبه المشركون فى مكة ويحتشدون حوله فى شماتة ظاهرة ويشحذ الرماة رماحهم لتمزيق هذا الجسد الطاهر فى جنون ووحشية فالتفت إليهم خبيب رضي الله عنه قائلاً: دعونى أركع ركعتين فتركوه فضلاهما فلما سلم قال: والله لولا أن تقولوا أن ما بى جزع لزدت ثم قال: اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تُبق منهم أحدا ثم قال أنشودته الخالدة:

لقد أجمع الأحزاب حولى وألَّبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمعِ
وقد قرَّبوا أبناءهم ونساءهم
وقُربت من جذع طويل مُمنَّعِ

وقد خيرونى فى الكفر والموت دونه
فقد ذرفت عيناى من غير مجزعِ
إلى الله أشكو غربتى بعد كربتى
وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى
ولست أبالى حين أُقتل مسلمًا
على أى جنبٍ كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلوٍ ممزعِ

فاقترب منه أبو سفيان قائلا: أيسرُّك أن محمدًا عندنا تُضرب عنقه وأنك فى أهلك ؟ فقال: لا والله ما يسرنى أنى فى أهلى وأن محمدًا ﷺ فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه (أخرجه البخارى).

فيا ليت الواحد منا يكون شعاره: ما يسرنى أن أكون فى أهلى وسنة النبى ﷺ يصيبها أى شىء.

جابر رضي الله عنه.. يؤثر النبى ﷺ على نفسه وأولاده

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبى ﷺ خمصًا شديدًا، فانكفيت إلى امرأتى فقلت: هل عندك شىء؟ فإنى رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا فأخرجت إلىَّ جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بُهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغى، وقطعتها فى برمتها، ثم

وليت إلى رسول الله ﷺ .

فقالت: لا تفضحنى برسول الله ﷺ ومن معه، فجئته فساررته - كلمته سرًا - فقلت: يا رسول الله ! ذبحنا بهيمة لنا وطحنًا صاعًا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر من أصحابك فصاح النبى ﷺ يا أهل الخندق إن جابر قد صنع سورًا[١]، فحى هلا بكم»[٢].

فقال رسول الله ﷺ «لا تُنزلن بُرمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجىء» فجئت وجاء رسول الله ﷺ يَقدُم الناس حتى جئت امرأتى فقالت: بك وبك[٣]، فقلت: قد فعلت الذى قلت . . . فأخرجت له عجينًا فبصق به وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق، وبارك، ثم قال: «ادعى خابزة فلتخبز معك واقدحى من برمتكم، ولا تنزلوها» . . وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هى، وإن عجيننا ليُخبز كما هو» (متفق عليه).

هكذا لم يتحمل جابر أن يرى النبى ﷺ وهو فى تلك الحالة من شدة الجوع فذهب إلى بيته ليطلب من زوجته أن تعد الطعام الذى عندهم للنبى ﷺ مع أن جابر كان يعانى أيضًا من شدة الجوع لكنه آثر النبى ﷺ لشدة حبه له.

---

(١) السور بدون همزة - هو الطعام. (٢) أى هلموا مسرعين.
(٣) أى أنها ذمَّته ودعت عليه.

عـروة بن مسعـود يـرى العجـب مـن محـبة الصحابـة للنبى ﷺ

وهذا عروة بن مسعود، عندما ذهب يعرض على رسول الله ﷺ أمر قريش فى صلح الحديبية جعل يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه فلما رجع إلى أصحابه فقال: أى قوم، والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشى، والله إن رأيت مليكًا قط يعظمه أصحابه مثل ما يعظم أصحاب محمد محمدًا.

فوالله ما تنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدون إليه النظر تعظيمًا له (أخرجه البخارى).

إن هذا المشهد المهيب كان من أعظم أسباب إسلام عروة بن مسعود بعد ذلك.. فياليتنا نُظهر محبتنا للنبى ﷺ عسى أن يكون ذلك حاديًا لدخول الناس فى دين الله عندما يشعرون بصدق انتمائنا لهذا الدين ولصاحب الرسالة ﷺ

كانوا يعطرون العطر بعرق النبى ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: دخل علينا النبى ﷺ فقال[1] عندنا

(١) قال: أى نام القيلولة.

فعرق، وجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ النبى ﷺ فقال: يا أم سليم ما هذا الذى تصنعين؟ قالت هذا عرقك، نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب (أخرجه مسلم).

وفى رواية «.... ففتحت عتيدتها[١]، فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره فى قواريرها، ففزع النبى ﷺ[٢]، فقال: ما تصنعين يا أم سليم قالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال: أصبتِ (أخرجه مسلم).

المشتاقون لصحبة النبى ﷺ فى الجنة

وها هى صور مضيئة لمن اشتاقت قلوبهم لصحبة النبى ﷺ فى جنة الرحمن (جل وعلا).

فقد جاء فى الحديث أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلىَّ من نفسى وإنك لأحب إلىَّ من ولدى وإنى لأكون فى البيت فاذكرك فما أصبر حتى آتى فأنظر إليك وإذا ذكرت موتى وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين وأنى إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبى ﷺ شيئًا حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ**

---

(١) عتيدتها: هى كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها.

(٢) أى استيقظ من نومه.

وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٩ - ٧٠)

(رواه الطبرانى بإسناد حسن).

وفى الحديث الذى رواه مسلم عن أنس ﷺ أنه قال: بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد فلقينا رجلاً عند سُدة المسجد فقال: يا رسول الله! متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: ما أعددت لها؟ قال: فكأن الرجل استكان ثم قال: يا رسول الله! ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكنى أحب الله ورسوله. قال: فأنت مع من أحببت.

قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبى ﷺ فإنك مع من أحببت.

قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.

ونحن نُشهدك يا ربنا أننا نحب رسول الله ﷺ ونحب الصحابة ﷺ ونحب الصالحين فى كل زمان ومكان، ونرجو أن نُحشر معهم، وإن لم نعمل بمثل أعمالهم.

* وفى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى فراس ربيعة بن كعب الأسلمى خادم رسول الله ﷺ ومن أهل الصفَّة ﷺ قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه، وحاجته فقال: سلنى فقلت: أسألك مرافقتك فى الجنة فقال: أوَ غير

ذلك قلت: أسألك مرافقتك فى الجنة فقال: أو غير ذلك قلت: هو ذاك قال: «فأعنِّى على نفسك بكثرة السجود».

تأمل معى أيها الأخ الحبيب كيف كانت همة هذا الصحابى الجليل عالية خفاقة.. فهو لم يطلب أى شىء من حطام الدنيا الزائل بل طلب أغلى وأعلى مطلوب ألا هو صحبة الحبيب المحبوب ﷺ فى جنة علام الغيوب (جل وعلا).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ مرَّ بين أبى بكر وعمر، وعبد الله قائم يصلى فافتتح سورة النساء يسجلها - يقرؤها قراءة مفصلة - فقال ﷺ: «من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أُنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد» فأخذ عبد الله فى الدعاء فجعل رسول الله ﷺ يقول: سَل تُعط فكان فيما سأل: اللهم إنى أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ فى أعلى جنان الخلد، فأتى عمر «عبد الله» يبشره، فوجد أبا بكر خارجًا قد سبقه، فقال: إنك لسبّاقٌ بالخير (رواه أحمد بإسناد حسن).

أجل والله.. إنها القلوب التى صدقت فى حبها للنبى ﷺ واشتاقت لصحبته فى الجنة كما كانت فى صحبته فى الحياة الدنيا.

أبو هريرة رضي الله عنه.. وحنينه إلى النبى ﷺ

لقد صحب أبو هريرة رضي الله عنه النبى ﷺ وأحبه حبًا مَلَكَ

عليه قلبه وجوارحه فكان لا يفارقه أبدًا.

وبعد وفاة النبى ﷺ كانت صورته لا تفارق أبا هريرة ؓ فقد كان يحبه حبًا جمًا على الرغم من أنه لم يصحب النبى ﷺ إلا سنوات معدودات لا تتعدى الأربع سنوات، ولكنها كانت تساوى فى عمر الزمن أعمار أمم وأجيال.

وكان أبو هريرة إذا ذكر الحبيب ﷺ تتوق نفسه لرؤيته فيجهش بالبكاء شوقًا لرؤية حبيبه ﷺ.

عن عبد الوهاب المدنى، قال: بلغنى أن رجلاً دخل على معاوية، فقال: مررت بالمدينة، فإذا أبو هريرة جالس فى المسجد، حوله حلقة يحدثهم، فقال: حدثنى خليلى أبو القاسم ﷺ ثم استعبر فبكى، ثم عاد فقال: حدثنى خليلى ﷺ نبى الله أبو القاسم ثم استعبر فبكى ثم قام.

أنس ؓ يرى النبى ﷺ فى منامه كل ليلة

عن أنس بن مالك قال: لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء فيها كل شىء فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء وما نفضنا عن النبى ﷺ الأيدى حتى أنكرنا قلوبنا (رواه الترمذى بسندٍ صحيح).

ولما مات النبى ﷺ كان أنس ؓ يرى النبى ﷺ كل ليلة فى منامه.

قال المثنى بن سعيد: سمعت أنسا يقول: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي ثم يبكي (رواه ابن سعد ورجاله ثقات).

الله أكبر!! تالله إننا لنشتاق إلى رؤية الحبيب ﷺ ولو مرة واحدة.. وأنس رضي الله عنه يراه كل ليلة فى منامه.

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

علامات لمعرفة قدر النبى ﷺ فى قلوبنا

لقد ذكر العلماء علامات نعرف من خلالها مدى صدق العبد فى محبته لرسول الله ﷺ فإليكم بعض تلك العلامات:

أولاً: تقديم محبته ﷺ على النفس والوالد والولد:

ففى صحيح البخارى عن عبدالله بن هشام قال: كنا مع النبى ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلىّ من كل شىء إلا من نفسى، فقال النبى ﷺ: «لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر: والله لأنت أحب إلىّ من نفسى فقال النبى ﷺ: «الآن يا عمر»... والمراد أنه لا يكمل إيمان العبد حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه فضلاً عن ماله وأهله وولده.

وفى الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس

أجمعين».

وخص الوالد والولد بالذكر لكونهما أعز خلق الله على الإنسان بل ربما كان أحب إليه من نفسه وفى هذا تأكيد على أنه يجب أن يكون الرسول ﷺ أحب إلى نفس المؤمن من كل حبيب وعزيز عليه من سائر البشر جميعًا» (فتح البارى: ١/ ٥٩).

وقفة لطيفة

قال الإمام النووى (رحمه الله) فى قول رسول الله ﷺ «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين» وفى الرواية الأخرى من ولده ووالده والناس أجمعين قال الإمام أبو سليمان الخطابى: لم يُرد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار لأن حب الإنسان نفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه قال فمعناه لا تصدق فى حبى حتى تفنى فى طاعتى نفسك، وتؤثر رضاى على هواك وإن كان فيه هلاكك.

وقال ابن بطال والقاضى عياض وغيرهما (رحمة الله عليهم): المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس فجمع ﷺ أصناف المحبة فى محبته.

قال ابن بطال رحمه الله: ومعنى الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبى ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه

والناس أجمعين؛ لأن به ﷺ استنُقذنا من النار وهُدينا من الضلال.. قال القاضي عياض (رحمه الله): ومن محبته ﷺ نُصرة سنته والذّب عن شريعته وتمنى حضور حياته، فيبذل ماله ونفسه دونه قال: وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا يتم إلا بذلك ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبى ﷺ ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن. هذا كلام القاضى (رحمه الله) والله أعلم (مسلم بشرح النووى (٢/ ٢٠، ٢١).

وقد ذكر العلماء علامات أخرى لمعرفة محبة النبى ﷺ ومن أهمها ما يلى (فتح البارى: ١/ ٥٨).

ثانيًا: فقد رؤيته يكون أشد عليه من فقد أى شىء آخر فى الدنيا بمعنى أنه لو خُيِّر بين رؤية النبى ﷺ إن كان ذلك ممكنًا وبين أن يفقد فى سبيل ذلك أى شىء هام من أغراض الدنيا لاختار أن يرى حبيبه ﷺ.

ثالثًا: يتمنى حضور حياته (عليه الصلاة والسلام) كى يبذل نفسه وماله دونه.

رابعًا: يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه.

خامسًا: ينصر سنته ويذب عن شريعته.

سادسًا: يكثر من الصلاة على النبى ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا**

الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا» (أخرجه مسلم).

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ فقالوا يا رسول الله وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ (أى صرت رميمًا)، قال: إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء (صحيح الجامع: ٢٢١٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «رغم أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصل عليَّ» (صحيح الجامع: ٣٥١٠).

وعن على رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «البخيل من ذُكرت عنه فلم يُصل عليَّ» (صحيح الجامع: ٢٨٧٨).

* بل سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو فى صلاته لم يُمجِّد الله تعالى ولم يُصلِّ على النبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ عَجَّل هذا ثم دعاه فقال له - أو لغيره -: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم يصلى على النبى ﷺ ثم يدعو بعد بما شاء» (صحيح الجامع: ٦٣٥٩).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر

خطيئات ورفع له عشر درجات» (صحيح الجامع: ٦٣٥٩).

وعن أبى الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «من صلى علىَّ حين يصبح عشرًا وحين يمسى عشرًا أدركته شفاعتى يوم القيامة» (صحيح الجامع: ٦٣٥٧).

أجعل لك صلاتى كلها

- عن أُبَيّ بن كعب، قال: قلت يا رسول الله: إنى أُكثر الصلاة عليك[١]. فكم أجعل لك من صلاتى؟[٢]

فقال: ما شئت.

قلت: الربع.

قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك.

قلت: فالنصف؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك.

قلت: فالثلثين؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك.

قلت: أجل لك صلاتى كلها.

قال: إذن يُكفى همك ويُغفر لك ذنبك»

(صحيح سنن الترمذى: ١٩٩٩).

النبى ﷺ ينهى أمته عن إطرائه والغلو فيه

ومن مقتضيات هذه المحبة وحدودها:

عدم الغلو فى رسول الله (عليه الصلاة والسلام).

---

(١) أى أريد أكثارها. (٢) أى بدل دعائى الذى أدعو به لنفسى.

والغلو هو مجاوزة الحد بأن يُزاد فى حمد الشىء أو ذمِّه على ما يستحق ونحو ذلك».

والحق أن الغلو فى رسول الله ﷺ قد بلغ عند البعض حدًا خطيرًا جدًا، فخلعوا على رسول الله ومنحوه أخص خصائص الألوهية والربوبية، . . . تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

فزعموا أن النبى ﷺ شريك مع الله فى الخلق والتدبير والتصريف وكشف الضر وجلب النفع وعلم كل شىء.

حتى قال البوصيرى فى بُردته وهو يخاطب النبى (عليه الصلاة والسلام):

يا أكرم الخلق ما لى من ألـوذ بـه

سواك عند حدوث الحادث العممِ

ولن يضيق رسول الله جاهك بى

إذا الكريـم تجلـى باسـم منتـقمِ

فـإن من جـودك الدنيـا وضرتـها

ومن علومك علم اللـوح والقلـم

هكذا يصنع الغلو بأصحابه، فلقد وصف النبى ﷺ بما لا يمكن أن يتصف به أحد إلا الله من أوصاف الربوبية والألوهية فجعل الرسول وحده ملاذه وملجأه إذا نزلت به المصائب

والشدائد ثم ذكر أن الدنيا والآخرة من جود النبى ﷺ بل يصف علم النبى بالإحاطة والشمول حتى جعل علم اللوح والقلم من بعض علومه (عليه الصلاة والسلام).

تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

والله جل وعلا يقول: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ (النمل: ٦٢).

ويقول النبى ﷺ نفسه كما أخبر الله (عز وجل) عنه ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (الأعراف: ١٨٨).

من أجل ذلك حذر النبى ﷺ ونهى عن الغلو فيه وإطرائه بكلمات حاسمة واضحة كما فى حديث أنس رضي الله عنه أن ناسا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال: يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله (عز وجل) (رواه النسائى بسند جيد).

وكقوله ﷺ: «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم

إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله (أخرجه البخارى).

* وكقوله ﷺ فى الحديث عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال «انطلقت فى وفد بنى عامر إلى رسول الله ﷺ فقلت: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان» (صحيح الجامع: ٤٤١٨).

وأنكر النبى عليه الصلاة والسلام على الرجل الذى قال له ما شاء الله وشئت قال: «أجعلتنى لله ندًا ؟ بل قل ما شاء الله وحده» (السلسلة الصحيحة: ١٣٩).

* ذلكم هو مقام العبودية الذى تسربل به المصطفى (عليه الصلاة والسلام) فاستحق من الله (جل وعلا) أن يثنى عليه فى أعلى وأرفع مقاماته بهذه الصفة.. صفة العبودية.

فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يعلم أن تعظيم النبى ﷺ وتوقيره واحترامه وإجلاله هو أن يعرف حقوق الله تعالى وحقوق رسول الله.. هو أن يعرف قدر الله تعالى وقدر رسول الله ﷺ ليفرق بين التعظيم الذى يدور على الاتباع وبين الغلو الذى يدور على الابتداع وهذه من أهم المسائل فى هذا الباب(١).

* * *

(١) حقيقة التوحيد/ للشيخ محمد حسان (ص: ٢٢٠، ٢٢١) بتصرف.

وأخيراً.. هل أنت صادق في محبتك؟

وفى نهاية تلك الرسالة القصيرة أريدك أن تسأل نفسك هذا السؤال :

هل أنا صادق فى محبتى للنبى ﷺ أم لا؟

فإذا قلت : أنا أحب النبى ﷺ من أعماق قلبى . . نقول لك : فأين اتباعك لهدى النبى ﷺ وشرع النبى ﷺ وسنته . . أين أنت من أخلاقه ومعاملاته وسلوكه وعبادته ؟

إننا فى أشد الحاجة لأن نقف مع أنفسنا وقفة صادقة لنرى أين نحن من سنة الحبيب ﷺ وأين نحن من محبته ﷺ عسى أن تكون تلك الوقفة حاديًا لنا لأن نزداد حبًا للنبى واتباعًا له لنكون فى صُحبته يوم القيامة فى جنات النعيم التى فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)